اتباع العلم بالعمل

للشيخ عبدالسلام برجس –رحمه الله– وهي نصيحة للمسلمين في بريطانيا

...صلى الله وسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن ولى،
أما بعد، نحمد الله سبحانه وتعالى على ما اجراه من هذا الاتصال بيننا وبين إخواننا في برمنغهام، نسأل الله عز وجل أن يجعل هذا الاتصال الهاتفي خيرا علينا في ديننا ودنيانا.

سوف نتحدث إن شاء الله عن موضوع في غاية الأهمية، ألا وهو موضوع اتباع العلم بالعمل. وذلك لأن كثيرا من إخواني يعرفون فضل العلم وأهميته، ولكن عندما يأتي دور العمل يتقاعس كثير وتضعف الهمم، والله المستعان.

أيها الإخوة الفضلاء، إن السلف الصلح رضي الله تعالى عنهم كان اهتمامه الأكبر في اتباع العلم بالعمل، وبذلك حازوا السبق وفاقوا الناس عموما بالخير في أمور دينهم وأمور دنياهم. وقد كانوا رضي الله عنهم يحرصون على اتباع العلم بالعمل، كما يحرصون على العلم ابتداء. ولهذا يقول أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله:((**حدثونا الذين يقرؤون القرآن، يعني: عثمان بن عفان ونحوه من الصحابة، أنهم لم يكونوا يقرؤوا عشر آيات حتى يعرفوا معناها ويتعلموها ويعملوا بها، قال: فجمعنا العلم والعمل معه**)).

فهذا هو منهاجهم رضي الله عنهم. ولما أنهم كانوا على هذه الطريقة وعلى هذا المسلك فقد أدركوا في العلم إدراكا قويا وتمكنوا منه تمكنا واضحا بينا. وذلك لأن هذا العلم ما جعل ليتلذذ به الناس تلذذا فحسب، ولا ليتكثر به تكثرا فحسب، بل إنما شرع هذا العلم، وشرع التعلم لأجل أن يتبعه الناس العمل. فمن أتبع العلم بالعمل فإنه والحال هذه سيستفيد أمورا كثيرة. سوف أكتبها في الفقرات التالية:

أول ذلك أن اتباع العلم بالعمل فيه إظهار نعمة الله عز وجل عليك، وإظهار فضل الله سبحانه وتعالى عليك بأن خصك في هذا العلم دون أكثر الناس، فإن من تعلم العلم وحسنه، فإن شكر نعمة الله عز وجل على هذا العلم إنما تكون بإظهار العمل وبالحرص عليه، وبمجاهدة النفس عليه. ولهذا يقول أبو قلابة رضي الله عنه رحمه:((**إذا أحدث الله لك علماً فأحدث له عبادة ولا يكون همك أن يحدث به الناس**)).

ثانياً:أن اتباع العلم بالعمل فيه الخشية من الله –سبحانه وتعالى– وظهور إجلال الله –سبحانه وتعالى–، فإن العلم لا يراد للعلم فحسب، وإنما يراد لخشية الله والخوف من الله ومراقبة الله. ولهذا كان السلف يقولون:((**ليس العلم عن كثرة الرواية، ولكن العلم الخشية**)). هكذا قال ابن مسعود . وتصديق ذلك في قول الله –سبحانه وتعالى–:– ((**إنما يخشى الله من عباده العلماء**)) فالعلماء هم أشد الناس خشية لله. يخشون الله في السر والعلن، فيؤدون ما أوجب الله عليهم، ويحرصون على الإتيان بالنوافل، ويجتنبون ما نهاهم الله تعالى اجتناباً كاملاً.

ويقول الإمام الحسن البصري رحمه الله تعالى: **همة العلماء الرعاية، وهمة السفهاء الرواية.** فهذا نص جلي من أحد أئمة السلف على أن العلماء حقا، همتهم تدور حول رعاية ما رووا، بمعنى: العمل بما رووا وبما نقلوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن صحابته الكرام.

أما همة السفهاء الذين تعلموا العلم لا ليعبدوا الله تعالى به على بصيرة، ولا ليتحققوا خشية الله سبحانه وتعالى في قلوبهم، فإنما هي الرواية فقط. فهم يروون الأحاديث ويتلوون الآيات، ولكنهم لا يعملون بها، فهم أبعد الناس عن العمل بها. ولهذا قال عنهم الحسن: إنهم سفهاء، لأنهم سفهوا أنفسهم بهذا العمل المقيت الذي اختصروا فيه على الرواية دون اتباعها بالعمل، وأتوا بالوسيلة وتركوا الغاية والمقصد!

ثالثا: كذلك من الأمور أن اتباع العلم بالعمل يزيد في علم الشخص ويرسخه العلم الشرعي. فمن أتبع علمه بالعمل رسخت قدمه وثبت قلبه في العلم ، فأعطاه الله –عز وجل– علما واسعا، وفتح عليه من كنوز المعارف ما لا يخطر ببال أحد من الناس.

ولهذا قيل أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: **هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل.** أي: أن العلم يهتف وينادي: العمل العمل! أي: اعمل اعمل، فإن عمل صاحب العلم، وإلا زال عنه العلم وذهب وتخطاه إلى غيره.

هذا هو معنى قوله سبحانه وتعالى: ((**واتقوا الله ويعلمكم الله**)) فإذا عمل الإنسان بما علمه، فاتقى الله عز وجل على بصيرة، فإن ذلك يورثه علما نافعا وعملا صالحا. ومن

هنا ومن هذا المنطلق، فإن السلف اتفقوا بأن من لم يعمل بعلمه،فهو جاهل، وإن كان قد تضلع بالرواية وأحاط بالأقوال في العلم.

يقول الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: **لا يزال العالم جاهلا بما علم، فإذا عمل به كان عالما.** فالعالم عندنا لا يسمى عالما حتى يتبع علمه بالعمل. أما إذا لم يتبع علمه بالعمل، فإنه يكون جاهلا وفيه شبه من أحبار اليهود ومن علماء اليهود، الذي أُمرنا أن نستعيد بالله –عز وجل– من صراطهم وطريقهم. فنقول في كل صلاة:((**غير المغضوب عليهم ولا الضالين**)) والمغضوب عليهم: هم اليهود. والضالون: هم النصارى. يقول بعض السلف:**من ضل من علمائنا، ففيه شبه من اليهود، ومن ضل من عبادنا ففيه شبه من النصارى.**

رابعا:من أتبع علمه بالعمل، فإنه يصيب الإجابة الصحيحة يوم القيامة. فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر كما في حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله تعالى عنه، أنه قال: ((**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربعة: عن عمره فيما أفناه، وعن علمه ماذا عمل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه**)). أخرجه الترمذي وغيره، وهو حديث صحيح.

فقوله ((**عن علمه ماذا عمل فيه**)): دليل على أنك إذا تعلمت علما، فإنك سوف تسأل عنه يوم القيامة. هل عملت به؟ فتؤجر وتثاب إذا كانت نيتك صالحة خالصة لله. وإن لم تعمل به، فإنك تعذب على قدر ما تركته من العلم.فإن تركت علما واجبا

فلم تعمل به، فإنك تأثم. وإن تركت من العلم ما يدل على الاستحباب والندب، فإنك قد فرطت بالثواب، ولا عقاب ولا إثم إن شاء الله تعالى.

خامسا وإذا من فوائد ذلك: أن المسلم يجتنب ما نهاه الله عنه من عدم اتباع العلم بالعمل. فإن الله ذم ذلك بأمرين، أو ذم ذلك وبين مذمة ذلك في أمرين:

الأمر الأول:أنه –سبحانه وتعالى– ذم اليهود على أنهم يشبهون الحمار الذي يحمل أسفارا، فمثلهم (**كمثل الحمار يحمل أسفارا**)،

فهم يحملون في صدورهم التوراة، ويعرفونها ويعرفون أحكامها، ولكنهم لم يعملون بها. فالمسلم لا يرضى لنفسه أن يكون شبيها لليهود، لأنه من تشبه بقوم فهو منهم.

الأمر الثاني: أن الله سبحانه وتعالى نها المؤمنين عن هذه الصفة. ((**يأ أيها الذين ءامنوا لم تقولون ما لا تفعلون* كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون**)) المسلم يخشى على نفسه من أن لا يعمل بعلمه، فتكون عاقبته سوءا لا سيما أنه قد ثبت بصحيح مسلم أن من أوائل الناس الذين يعذبون في النار عالم لم يعمل بعلمه.

سادساً: الأمر الذي يلي ذلك : أن ترك العمل بالعلم مما يورث الوقوع في المحذور من الخصومات والجدالات التي تفسد الدين وتفسد القلب وتفسد على المسلمين كثيراً من أمورهم. فإن المسلم إذا أشغل نفسه بالعمل ورباها عليه، فإنها ترتفع عن مثل هذه الأمور السقيمة من الخصومات الباطلة والمجادلات المخالفة لما كان عليه السلف من

الجدال في الحق وتبيينه وتوضيحه. وإذا أشغل نفسه بالعمل،فإنه يرتفع عن مثل هذه الأمور ويرتفع عن غيرها مما يخرج العلم عن المقصد الأسمى له، وهو اتباعه بالعمل. فالمسلم إذا أشغل نفسه بالعمل انشغلت نفسه عن السوء بالخير، وأما إذا لم يشغل نفسه بالعمل، انشغلت نفسه بالسوء وتركت هذا الخير العظيم.

بعد هذه الفقرات التي وضحناها وتكلمنا عنها بكلام مجمل، فإننا نطالب إخواننا السلفيين بالحرص على العمل والرغبة فيه، وأن لا يكون اهتمامهم في تحصيل العلوم فحسب.بل ينبغي أن يتبعوا تحصيل العلم بما يرجع عليهم بالخير في دينهم ودنياهم من العمل به والحرص على القيام به.

فإن السلفيين أحق الناس بالعمل بما علموا، لأن السلف رضي الله تعالى عنهم –وهم قدوتهم– كانوا كذلك وعلى هذه الطريقة. فهم يحرصون كل الحرص على اتباع العلم بالعمل. ومن أجل ذلك ألف أهل العلم –من أهل السنة– كتبا كثيرة في الزهد وفي الحرص على العمل وفي التحذير من تركه، وفي الزهد في الدنيا بمعنى: العمل بما شرع الله –سبحانه وتعالى– والحرص على إتيانه بالمستحبات والنوافل، والابتعاد كل الابتعاد عن إتيان المنكرات والموبقات.

هذا الزهد هو الذي كان السلف أولى به ممن انتسب إلى الصوفية أو غيرهم، ممن زعم الزهد وليس بزاهد. ولهذا ألفوا في الزهد كتبا كثيرة، منها كتب مستقلة، ومنها كتب في ضمن مؤلفاتهم. فما من أحد من الأئمة كالبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه،إلا وقد وضعوا في كتبهم السنن والصحاح الكبيرة أبوابا للزهد

والرقائق. وألف العلماء في ذلك استقلالا، كالإمام أحمد، ألف كتاب الزهد، وكابن المبارك وكوكيع وكهناد ابن السري وكأبي داود، كل هؤلاء ألفوا في الزهد كتبا مستقلة، مما يعني أنهم يهتمون بهذا الأمر ويحرصون عليه ويقيمون له وزنا. فنحن أحق الناس باتباع هؤلاء، وحق الناس بالسير على خطاهم.

فالواجب علينا، أن نهتم بهذه القضية وأن نعتني بها، ويجب أن نعلم أن العمل بالعلم ينقسم إلى قسمين:

1) **قسم واجب فرض** : وهو العمل بالعلم الذي يفيد الوجوب، كالصلوات الخمس والصوم وأداء الزكاة لمن وجبت عليه وحج البيت المن استطاع إليه سبيلا مرة في العمر ونحو ذلك من العلوم.

   فمن علم تحريم الربا، وجب عليه أن يعمل بهذا العلم، ومن علم تحريم الزنا، وجب عليه أن يعمل بهذا العلم، وهكذا. هذا العلم يجب العمل به ولا يسع لأحد أن يتركه من الناس. ومن تركه فإنه آثم آثم.

2) **والعلم الآخر**: **علم يستحب** الإتيان به، ويحمد من آتى به. فإن لم يأت به، لم يأثم، كالأمور المستحبة كنوافل العبادات ونوافل الصلاة ونوافل الصيام ونوافل الحج ونوافل الزكاة ونحو ذلك. فإن هذه الأمور التي لا تجب، يستحب أن يعمل الإنسان بها إذا علم بها، ويتأكد ذلك في حقه، وإن لم تكن قد وجبت عليه .

والأعمال بحمد الله تعالى أمامنا كثيرة ويسيرة، ولكن لا يستطيعها إلا من جاهد نفسه عليها، وعوّد نفسه عليها. فإن النفس حرون قوية شديدة لا يستطيع الإنسان أن يطوعها بسهولة ويسر. فالله عز وجل قال: ((**إن النفس لأمارة بالسوء**)) وهذه النفس لا يمكن لإنسان أن يتمكن منها وأن يسيطر عليها وأن يمسك بزمامها لطاعة الله –عز وجل– إلا إذا جاهدها حق المجاهدة على العمل بما تعلم،

فإن العمل بالعلم يحتاج إلى التمرين، ويحتاجون إلى صبر ومصابرة. وهذا بحمد الله عز وجل يُكتسب بهذه الأمور. فمن صبر وصابر يصل إلى العمل بالعلم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((**إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم، ومن يتحر الخير يعطه، ومن يتوق الشر يوقه**)). فهذا دليل على أن من تحرى الخير فإنه يوفق له، ومن توق الشر، فإنه يوفق لاجتنابه. وأن هذه الأمور إنما تحتسب بتمرين النفس عليها وتطوير النفس عليها. فإذا وقع ذلك أصبح خيرا كثيرا في الدين والدنيا لصاحبها.

فندعو الإخوة إلى تكثير العمل والسعي إليه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا. فوالله الذي لا إله غيره، لو أننا أشغلنا أنفسنا بالعمل ما استطعنا إلى ذلك سبيلا. لكانت هذه النفوس من أطهر النفوس وعلاها همة، ومن أقربها إلى الله –سبحانه وتعالى– ولكن حال المسلمين اليوم حال مُزْرٍ، وحال يؤلم النفس. ولا أقول أن ذلك خاص بعوام المسلمين، بل هذا الداء سار إلى أكثر المسلمين من علماء ومن طلبة العلم ومن العوام ونحو ذلك، إلا من رحم الله تعالى وقليل ما هم.

فينبغي أن نرفع هذا الأمر عن أنفسنا، وأن نسعى إلى الرجوع إلى ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام، من كون الهمة منصرفة إلى العمل.فكلما تعلموا علما عملوا به، طبقوه. وبذلك تكون قوة المسلمين، وبذلك تكون سعادة المسلمين.

ولا خير في حياة المسلم إذا لم يكن فيه عمل صالح يقربه إلى الله –سبحانه وتعالى– فإن الله –عز وجل– أكثر من ذكر الأعمال في كتابه، وأمر بها وحث عليها.بل أخبر أن هذه الجنة ((**بما كنتم تعملون**)) أي: نلتموها يا أهل الجنة بما كنتم تعملون بعد فضل الله –سبحانه وتعالى– ورحمته.